بقلم الاب لامنس اليسوعي

الكثيرون ان الانكليز لا يكترثون غالباً اكتراثاً شديداً لما يحدث عند سائر الاوربيين . ولهم عذرهم في ذلك ، لان انكلترة جزيرة منفصلة عن مناطق اوربة . اما نحن فلا يمكننا التشبث بعذر الانكليز ، لان بلادنا تشبه جسراً يصل بين القارات الثلاث في العالم القديم ، لانها ممرّ طبيعي يضطر جميع جيراننا الى السير عليه ، بل هي طريق مهمة كما ابان ذلك السيد ميشال شيحا ، في محاضرته النفيسة التي تكلمنا عنها في الشهر الماضي[1] . وعليه فلا يمكننا ان نجهل او نتجاهل ما يحدث عند جيراننا . فهم يؤثرون فينا ، ونحن نؤثر فيهم . وها ان تاريخنا باجمعه برهان واضح على هذا الامر ، يدلنا ان بلادنا نالت في كل عصر فوائد الطريق ، وتحملت مضارها ، وان جدودنا استفادوا من مركزهم النادر منافع توسطهم بين الامم كما قاسوا مساوئ هذا التوسط . فاستثمر الفينيقيون هذا المركز ، فعقدوا الصلات التجارية واستحدثوا المستعمرات . ولكن المركز نفسه جرّ على احفادهم الغزاة والمكتسحين .

واننا ، في هذه الساعات السوداء التي نحياها اليوم ، ووسط هذه الازمة الآخذة بخناق العالم كله ، نرى من دواعي الاعتبار واساليب التعزية ان نلقي نظرة على جيراننا . فنتحقق اننا اخف الجميع ضنكاً واقلهم مقاساة لهذا الضيق العالمي . واننا لا نعني بقولنا تركية وحدها التي كادت تخنقها ازمة

---

(١) اطلب مشرق شباط الماضي ، ص ١١٦-١٢٢

اقتصادية زادتها شدة عقبات سياسية داخلية ، بل تتجاوز ، في هذه النظرة ، تركية الى غيرها من بلاد الشرق الادنى . فترى ان مصر نفسها ، التي طالما مثلوها لنا بلاداً ذات كنوز لا تفنى ، وموارد لا تنضب ، ومستقبل لامع براق ، ترى مصر السعيدة تقاسي اليوم ازمة مالية غاية في الشدة والخطر ، وفضلاً عن ذلك فان المستقبل السياسي فيها لا يبعث الى الاطمئنان .

اما بلادنا فبعيدة عن هذه البلايا . ونحن اذا انتبهنا الى ان الازمة كونية عامة لم تخلص منها منطقة ، رأينا اننا اسعد حظاً من جميع جيراننا في الشرق الادنى ، كما ان فرنسة اسعد حظاً من سائر دول اوربة .

تكلمنا في « مشرق » كانون الثاني من هذه السنة عن الحالة الحاضرة في جزيرة العرب . فيحسن بنا الآن ان نحوّل انظارنا الى الشمال فنبحث في حالة تركية الكمالية . فترى انها ، على الرغم من البلاغات الرسمية والمعلومات المطمئنة ، تسير الى مستقبل قاتم الالوان . فهي ، فوق تأثرها بالازمة العالمية تأثراً شديداً ، تشكو من ثلاث أزمات تتنابها جملة : أزمة مالية ، وازمة دينية ، وازمة انفصالية . اما الازمة المالية فشديدة الخطر حتى انه اذا لم يتوفق اولي السلطة الى حلها قريباً ، لا تبعد ان تجرّ افلاس الحكومة . وسببها ان السلطة انصرفت الى الشؤون السياسية البحتة مدة سنوات متوالية ، دون ان تهتمّ بما دون ذلك من امور الاقتصاد . فخصّت القسم الاعظم من الموازنة بنفقات عسكرية لا فائدة اقتصادية منها ، فلم تنل الزراعة الّا عناية جزئية ، والزراعة مورد تركية الاعظم اذ لا صناعة مهمة في تلك البلاد . وفي الوقت الذي تظهر فيه انقرة عاجزة عن وفاء ديونها للاجانب ، ترى الحكومة الكمالية تمدّ سككاً حديدية غايتها الاولى تسهيل حركات الجيش زمن الحرب ، وتوصي في معامل انسالدو الايطالية على قطع مدفعية بقيمة خمسين مليوناً .

ثم ان اخراج الاقليات غير الاسلامية كان سيئ التأثير على اقتصاديات تركية . لان هذه الاقليات كانت على رأس الحركة التجارية فيها . فلم يعزّ رحيلها في شيء الصناعة التركية ولا التجارة ، على عكس ما قدّره ساسة الكماليين . فلم تتمكن بلادهم من ان تسدّ الثلم العديدة التي احدثها ذهاب

تجّار الارمن والروم. واجلى مظهر لهذا النقص تراه في موانئ ستامبول وازمير وغيرهما، فانها تكاد تقفر بينما مرفأ البيره يضيق بما يعمو فيه من البواخر والمراكب.

ولا تزال الاطلال المحروقة والآثار الداثرة تنتشر في انحاء ازمير التي خربتها جيوش الكماليين الظافرة. وقد جرّب فتحي بك تلافي الشرّ قبل استفحاله، فأسس حزبه المتساهل وغايته ان يخفف نوعاً ما ذاك العداء الجافي لكل ما هو اجنبي، فيسمح لمن بقي من الاقليات في تركية بحياة تكون اقلّ شقاء مما هي عليه، ويدل على تعاسة الحالة في تلك البلاد ستاراً قد يلطّف منظر الخطب على ابصار اوربة، حتى اذا احتاجت تركية الى معونتها المالية لا تبوء بالفشل والخذلان. على انه سرعان ما شعر فتحي بك بان الداء اصبح عضالاً، فاقلع عن فكرته وحلّ الحزب القليل الذي كان قد جمعه حول برنامجه.

وان الغاء الخلافة، وما تبعه من الشرائع اللادينية التي رمت الحكومة الكمالية ببعضها صميم الدين الاسلامي، انفدتا الصبر الطويل الذي اشتهر به الاتراك المؤمنون. فسرى روح التذمّر، خصوصاً بعد حبوط مساعي فتحي بك في التساهل، ودُفع الكثير من المسلمين الى المطالبة بحرية الضمير ملتجئين الى الطرق المشروعة، حتى اذا يئسوا منها، لجأ مسلمو مُنيمن وولاية ازمير الى الثورة. وان حركتهم هذه كانت اشدّ واوسع مما تظهر في الاخبار والبرقيات الرسمية يدلنا على ذلك شدّة العقابات وصرامة الانتقامات، فان انشاء المحاكم العسكرية يدل على شيء اشدّ خطراً من هياج الدراويش. كل هذا ينذر حكومة انقره بأن مسلمي تركية لم يصلوا بعد الى درجة تمكنها من جعلهم ملحدين. ولا تنحصر روح التذمّر والهياج في ولاية ازمير وما جاورها، بل تتجاوزها الى اكثر الولايات الاناضولية فتنتظر فرصة سانحة للوثوب والثورة. وقد قام مصطفى كمال مؤخراً بجولة في الولايات، ولا غاية له الّا تسكين الخواطر وتهدئة هذا الهياج المتحفّز للوثوب. وهناك انذار ثانٍ تجلّى بثورات الاكراد، وهو انذار يهدّد وحدة الجمهورية التركية. فان الثورات المتتابعة تكذّب دائماً البلاغات الرسمية التي تدّعي دائماً ان الثورة الكردية انتهت وان الثوّار الاكراد أبيدوا على بكرة ابيهم. هذه نتيجة السياسة الكمالية العدائية التي تابعتها انقرة مدة

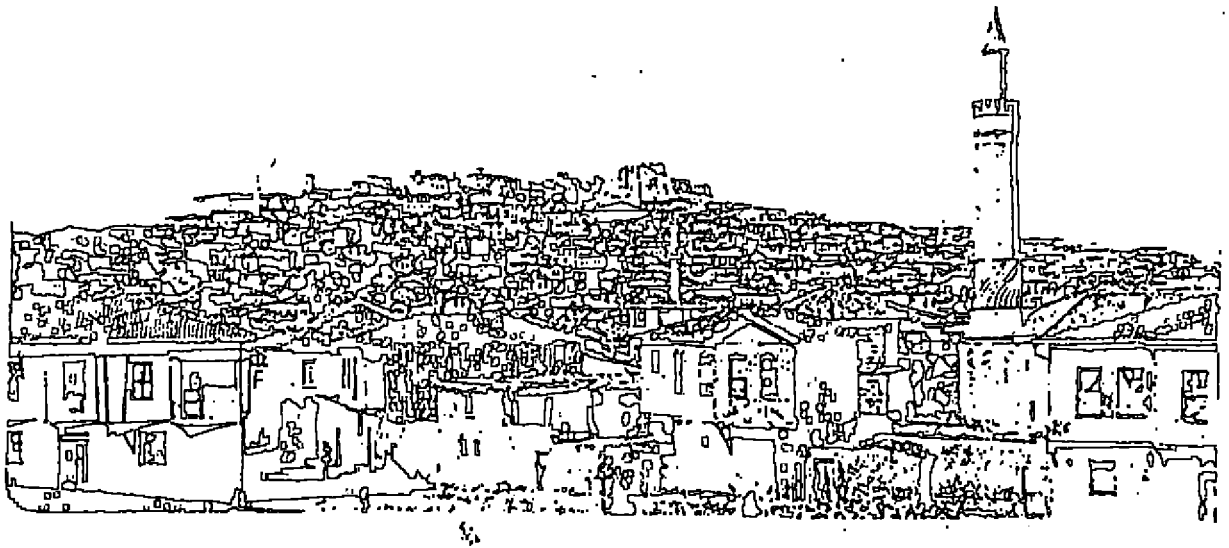

مدينة انقرة الحديثة

سنين ، فالجأت رعاياها الى التذمر فاليأس فالثورة ، ليس ثورة الاكراد الرامين الى الانفصال فحسب ، بل ثورة مسلمي تركية انفسهم .

وفي مصر ايضاً ترداد الازمة الاقتصادية خطورة بأزمة سياسية خانقة احدثها الحزب الوفدي بتشبثه بمبادئه وتمنعه عن كل تساهل ؛ ولكن حكمة الملك فؤاد وعزيمة صدقي باشا ، رئيس الوزراء ، تعملان ، لحسن حظ تلك البلاد ، على معالجة الداء . وقد حُذف من الدستور المصري الجديد اشدّ المواد خطراً كمسألة التصويت الشعبي العام في بلاد يبلغ عدد الاميين فيها ٩٨ بالمائة . فمن يُعطي حقّ التصويت العامّ لهؤلاء . كن يُسلم دفّة الحكومة لعميان لا يرون اين يقصدون . ولنا الامل ان الانتخابات المقبلة تؤيد الحكمة في هذه الاصلاحات .

اما العراق فقد اقرّ برلمانه ، في دورة تشرين الثاني الفائت ، المعاهدة الجديدة التي عُقدت بينه وبين انكلترة . وهو ينتظر السنة ١٩٣٢ ليطلب قبوله في جمعية الامم . فهل ينجح في طلبه ؟ وهل يحقّق الشروط المطلوبة للدخول في تلك الجمعية ؟ وهل هو دولة مستقلة حقيقة ام ان تلك المعاهدة لم تكن الّا واسطة ابدلت بها انكلترة نظام الانتداب على العراق بنظام الحماية ؟ ثم ان جمعية الامم تطلب من العراق ، دون شك ، ضمانات مهمة في مصلحة الاقليات التي لا تتمتّع دائماً في تلك البلاد بالانصاف والتساهل الواجبين . من ذلك ان حكومة العراق بتدخلاتها المزعجة ، تنكد الحياة على المدارس المسيحية ، وتضيّق عليها مجال العيش ، كأنها تريد الغاءها مقتفية ، في ذلك ، اثر حكومة انقرة .

واما فلسطين فان نشر « الكتاب الابيض » اهاج في العالم كله غضب الصهيونيين ، دون ان يرضي الوطنيين . ويخشى هؤلاء من ان تتأثر الحكومة الانكليزية باحتجاجات الصهيونيين ، وضجيج اليهود في العالم اجمع . واننا نرى خوفهم في محله اذا انتبهنا لمسألة الهجرة الصهيونية التي كانت ممنوعة منعاً باتاً ، ثمّ سُمح بها بشروط . ومهما يكن من الامر في المستقبل فان الوطنيين والصهيونيين يتقاطعون في معاملاتهم ، فيزداد عدد العمال العاطلين ، فتزداد خطورة الازمة الاقتصادية .